عمّال الكَرم (متّى 20: 1-16)

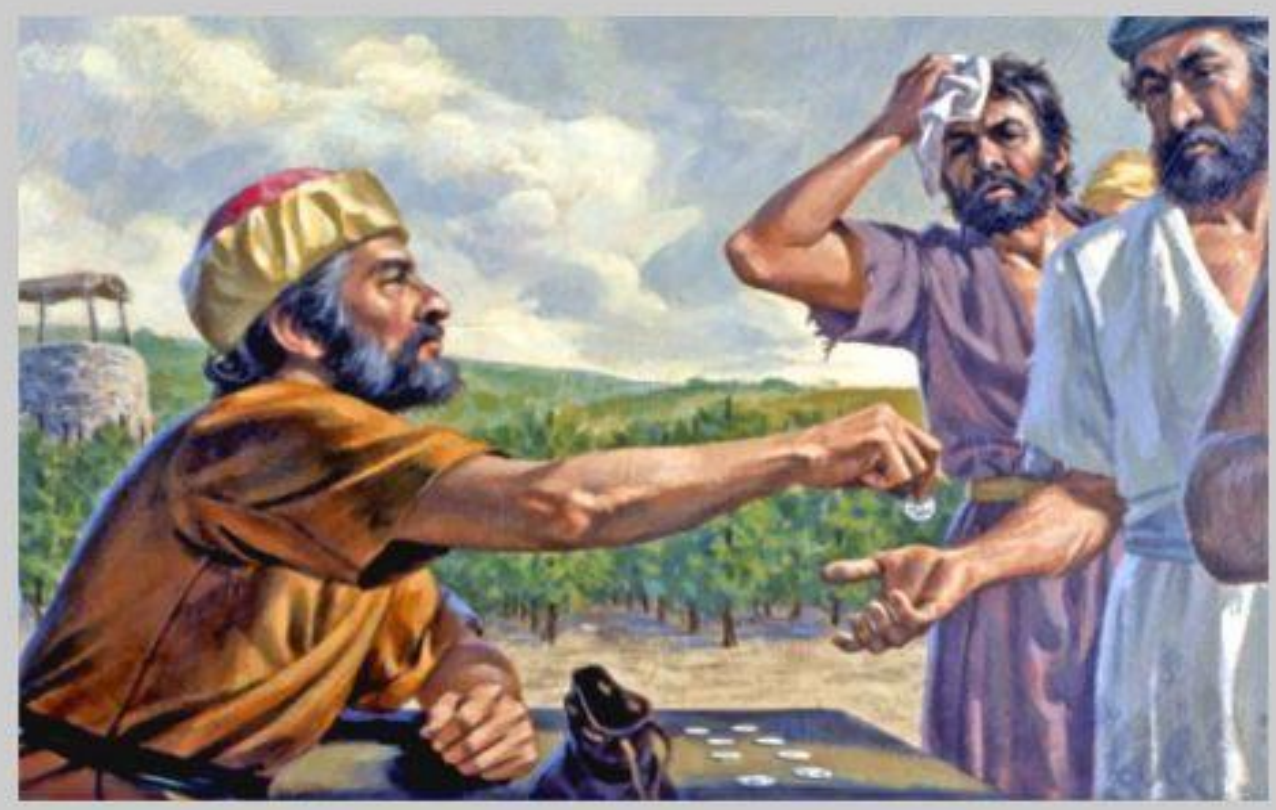

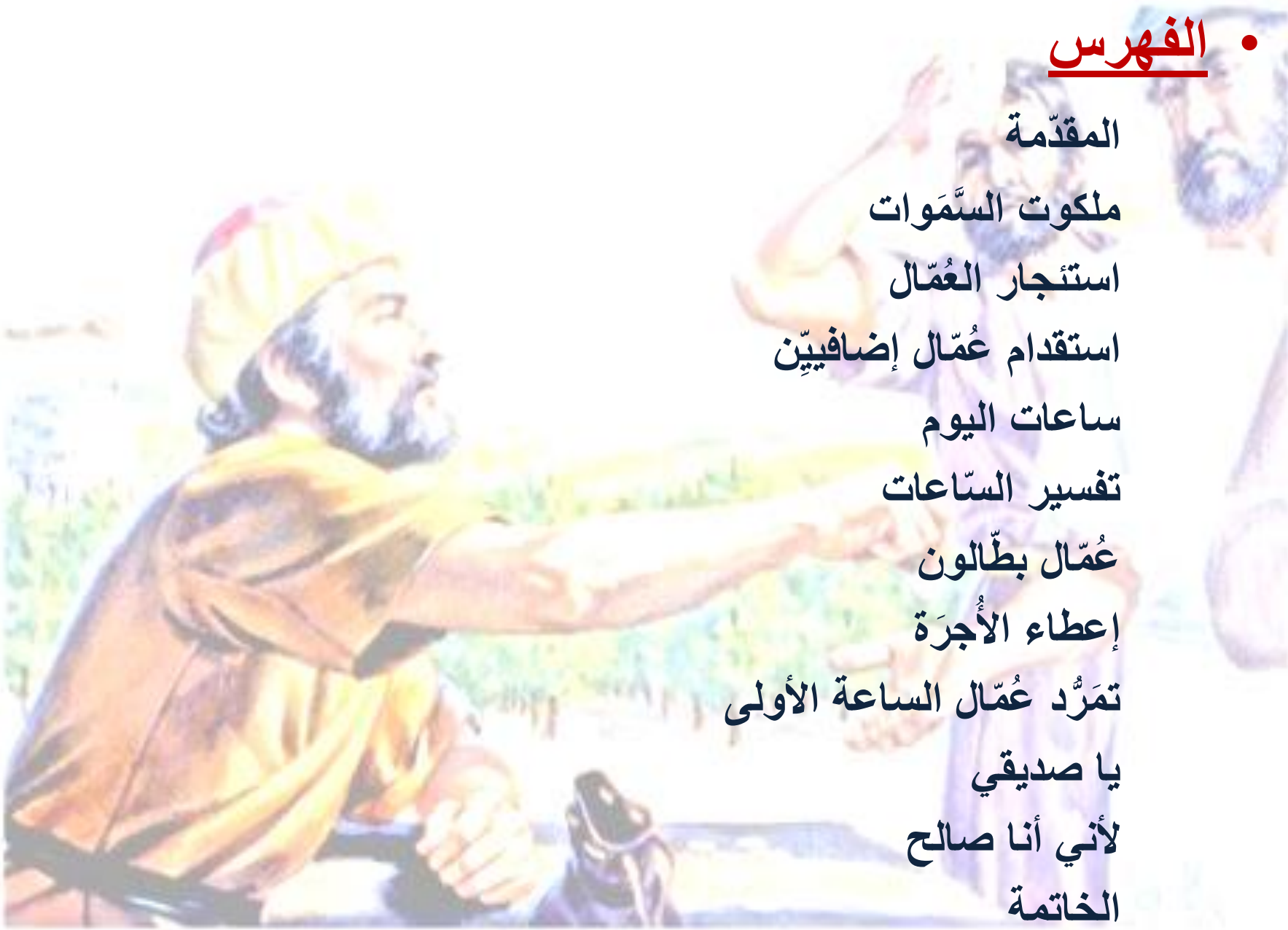

- **الفهرس**

المقدّمة

ملكوت السَّمَوات

استئجار العُمّال

استقدام عُمّال إضافيِّن

ساعات اليوم

تفسير السّاعات

عُمّال بطّالون

إعطاء الأُجرَة

تمَرُّد عُمّال الساعة الأولى

يا صديقي

لأني أنا صالح

الخاتمة

المُقدّمة

- يأتي مثل عُمّال الكَرم في الكِتاب المُقدّس بعد مقطع الشابّ الغنيّ (إصحاح 19)، وفي المقطعين يُنهي السيّد كلامَه بِالعبارة نفسها "وكثيرون أوَّلون يصيرونَ آخِرين، وآخِرونَ يَصيرونَ أوَّلين" (متّى19:30 و 16:20). لقد وهبَنا الربُّ النِعَمَ وأعطى كُلَّ واحِدٍ منّا الحُرِّيةَ في قبولِها وتفعيلها أو رفضِها وإهمالها.

ملكوت السَّمَوات

- إنَّ ملكوتَ الله يُشبِهُ رَجُلاً: نُلاحِظ هُنا أنَّ السيِّد المسيح انطَلَقَ في المَثل بِتشبيهِ ملكوتِ السَّمَوات بِرجلٍ، والرَّجُل ربُّ بيت، فَالرَّجلُ ليسَ بِعامِلٍ أو أجير، بلّ هوَ ربُّ العَمل وصاحِب الكرم، وهذا ما يُعطيه الحقَّ في أخذ القَرار وإجراءِ الحِساب.
- نَجِد وَجهَ الشَّبه بين الملكوتِ والحساب الّذي يُجريه صاحِب الكَرم؛ وكأنَّ المسيح قصدَ، بِكلامه هذا، أنَّهُ هو نفسُه ربُّ البيتِ، وقبولنا للكلمة وتطبيقها معبَر للمَلكوت.

استئجار العُمّال

- نُلاحظ، في المثل المذكور، أنَّ الرَّجُلَ هو صاحِب الكَرم وأنَّ له أراضيَ واسِعةً وأرزاقًا كثيرةً، ولَديهِ عمل كبير ويُريد الانتهاء منهُ سَريعًا. وقد وجدَ مجموعةً من العُمَّالِ الّذين هُم بحاجة لِعَملٍ، فاتَّفقَ معهم على الأُجرَة وأرسَلَهم إلى الكرمِ ليبدَأوا العَمَل.

استقدام عُمّال إضافيّين

- يتأكَّد لنا، في المَثل، أنَّ الكَرمَ واسعٌ وربّ العمل يَستَعجِلُ الانتهاء من الحِصاد. فالعُمّال كانوا يقومون بما هوَ مطلوبٌ مِنهُم، لكنّهم لا يستطيعونَ الانتهاء في الوقت المطلوب لِكَثرةِ العَمل؛ فربّ الكَرم بِحاجةٍ لِعَدَدٍ أكبَر مِنَ العُمّال لِيَصِلَ إلى ما يصبو إليهِ قبلَ بدءِ مَوسمِ الشِّتاء، وهذا أمرٌ طَبيعيٌّ ولَو لَم يُذكَرْ حرفيًّا. لِذا نجِدُهُ يَتّفق، معَ العُمّال الّذين جاء بِهم خِلال اليوم، على العَملِ فقط من دون أنّ يَتحدَّث معهم عنِ الأُجرَة.

ساعات اليوم

- لقَد خرج ربّ الكرم معَ الصُبحِ. هذه عادةٌ عند أصحاب الأرزاق: أن يبدأوا عَملهُم منذُ ساعات الصَّباحِ الأولى، أي حوالي السّاعة السادِسَة صَباحًا. أمّا السّاعةُ الثالثة فَتعادل التّاسِعة صباحًا، والسادِسَة هي الثانية عشرة ظُهرًا، والسّاعة التّاسِعَة هي الثّالِثَة بعدَ الظُهر، وبعدها الحادِيَة عَشرة، أيّ الخامِسة عصرًا، ويومُ العَملِ في الحَقلِ ينتهي عند السّادِسَة مساءً.

تفسير السّاعات

- لقد قسَّم القدّيس إيريناوُس، أُسقُف ليون 140 – 202م.، الأوقات كالتالي: الخُروجُ الباكِر هوَ عِندما دعا الربُّ آدمَ والّذين معهُ، والسّاعة الثالِثَة عندما دعا نوحًا ومَن معهُ، والسّاعة الّسادِسة إبراهيمَ ومَن معهُ، والّساعةُ التّاسِعة عندما دَعا موسى ومَن معَهُ وكذلك داوُد ومَن معهُ وأعطاهُم العهود، أمّا في السّاعة الحاديةَ عشرة فعندما أدرَكَهُ الوثنيّون.

عُمّال بطّالون

- إنَّ ربَّ الكرم لمْ يخرُجْ مرَّة واحِدة ليستأجِرَ العُمّال، كما هو مُلحوظٌ في المَثل، بل خرجَ مِرارًا وتَكرارًا وبأوقاتٍ مُختَلِفة: الثالِثَة، السّادِسَة، التّاسِعة وحتّى الحاديَةَ عشرَة أيّ قبل انتهاء يوم العَمَل بِساعةٍ واحِدة؛ وفي كُلِّ مرَّةٍ يجِد عُمّالاً بطّالينَ يُناديهِم ويدعوهُم للذهاب إلى الكَرم لأنَّ هُناكَ عملاً كثيرًا ولا يجوز لهم البَقاء جالِسينَ هكذا.

إعطاء الأُجرَة

- بعدَ انتهاء يوم العَمَل، كان مِنَ الطَّبيعيّ أنْ يدعو ربُّ العَمَلِ العُمّالَ لإعطائِهم الأجُرةَ. ولَمْ تَكُنْ صدفة أنْ يَبدأ بإعطاء الأُجراء الّذين دَعاهُم في السّاعةِ الحاديَةَ عَشرَة، بَل كانَ يقصُد ذلك، وَيَهدفُ إلى إيصال رِسالة مُهمّة، وهي أنَّ الربَّ يَفرَحُ بِعَودَةِ الخَطأةِ إِليهِ في أيّ وقتٍ كان.

- إنّ تمَعَّنّا جيّدًا في خُطبة القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمْ الّتي تُتلى يوم عيد الفِصح المجيد، نَجِدُ تَقارُبًا عميقًا بينها وبين هذا المَقطع الإنجيليّ؛ فقد ذَكرَ القدّيس الذهبيّ الفم السّاعات نفسها، ما يعني ترابُطًا بين الأمور وتكمِلةً للمَثل المذكور.
- "مَن عَمِلَ في السّاعَةِ الأولى فَلْيَقبَل حَقَّهُ العادِل، مَنْ قَدِمَ بعدَ السّاعَةِ الثّالِثة فَلْيُعَيِّد شاكِرًا، مَن وصلَ السّاعَةَ الحاديَةَ عَشرة فلا يَخشيَنَّ الإبطاءَ لأنَّ السيِّدَ كَريمٌ جَوّاد، فَهوَ يَقبلُ الأخيرَ كما يَقبلُ الأوَّل، يَرحَم مَن جاءَ أخيرًا وَيُرضي مَنْ جاءَ أوَّلاً... اُدخُلوا إلى فَرحِ الربّ".

تَمَرُّد عُمّال السّاعَةِ الأولى

- بعدَ إعطاء ربّ الكَرم الأُجرَةَ للجَميع تَمرَّدَ عُمّال السّاعةِ الأولى وأَبدَوا اِنزِعاجًا كبيرًا، لِدَرَجة أَنَّهُم لَمْ يَحترِموا ربَّ العَمَل، حتّى لَمْ يَذكُروا اسمه ولا أيّ شيء، بَلْ تَذَمَّروا عليهِ قائلين: "إنَّ هؤلاء الآخَرينَ عَمِلوا ساعَةً واحِدةً فَجَعَلتهُم مُساوِينَ لَنا نَحنُ الّذين احتَملنا ثِقلَ النَّهارِ وَحرَّه" (آ12)؛ علمًا أنَّه لا يحقّ للمُتَذَمِّرين قول هذا الكَلام لأنَّ ربّ العمل سبقَ له أن اِتَّفقَ معهُم على الأَجرِ، وهو، بِسَبَب كَرَمِهِ، أعطَى الجميعَ المبلَغ نَفسَهُ.

- مَحبّة الله لِلبَشَر وَحِكمَتهُ تَفوقان حُدود العَقل البَشريّ وتَقديراته، فهَلّ يَحُقّ لنا أنْ نشتَرِط عليهِ ماذا يَجِب أنْ يَفعَل، ومَن يَرحَم وغير ذلك؟ بِالتأكيد لا، فَهوَ يقبل مَن يشاء ويَرحَم مَن يَشاء، ويَفرَح بالجميع، فالمسيح غَفرَ لِلّصِّ وهو على الصّليبِ وأَدخَلَهُ إلى الفردَوس: "الحقَّ أَقولُ لكَ: إنَّكَ اليَومَ تَكونُ مَعي في الفِردَوس" (لوقا 43:23).

يا صَديقي

- يقول ربُّ الكَرم لأحَدِ المُتَمَرِّدين "يا صَديقي" (آ14)، ما مَعناه يا صاحبي، وهذه عِبارة استَخدَمَها السيِّد المسيح أيضًا في مُخاطَبَتِه لِيَهوذا قبلَ أن يُسلِمه هذا الأخير لِلصَلب، قال له: "يا صاحبي: اِفعَل ما جِئتَ له" (متّى 50:26). كذلك جاءَ في مَثَل عُرسِ ابن المَلِك "يا صَاحِبي، كيفَ دَخلتَ إلى هَهُنا، وليسَ عليكَ ثِياب العُرس" (متّى 12:22)، ما مَعناه أنَّ استخدامها من المسيح جاءَ بِمثابَة عَتَب للأصدِقاء، والربّ لَمْ يَرذُل مَنْ رَذَلَهُ، ولَمْ يَكرَه مَنْ لَم يحفظْ لهُ الجَميل في مُعامَلَتِهِ الحَسَنة.

لأنّي أنا صالِح

- قبلَ خِتام المَثَل يَقول ربّ الكَرم: "أما يجوزُ لي أنْ أتصرَّف بِمالي كيفما أُريد؟ أنتَ حسودٌ لأنّي أنا صالح" (آ15). هذا الكَلام يُعيدُنا لمقطع الشابّ الغنيّ عندما نادى المسيح قائِلاً: أيُها المُعَلِّم الصّالِح" (متّى 16:19)؛ كما يوجَد بعض الترجمات التي تَذكُر الكريم بدلاً مِنْ الصالِح، والترجمتان لهُما المدلول نفسه، وهوَ أنَّ الكَرَم والصَّلاح لا يُلغِيانِ العِتاب وَالعَدالةَ الّتي لله، وهذا دليلٌ على أنَّ ربَّ البيت هوَ المَسيح.

الخاتمة

- في إنجيل الدينونة فصلَ الربّ الجِداءَ عن الخِراف، ودَعا الخِرافَ وبارَكَهم وأدخَلَهُم إلى المَلكوتِ قائِلاً لَهُم: "تعالوا يا مُبارَكي أبي، رِثوا المَلَكوتَ المُعَدَّ لَكُم مِنذ تأسيسِ العالَم" (متّى 34:25).

- لقد دعانا الله جَميعًا إليه، هوَ الرَؤوف المُتَحَنِّن، الإله المُحبّ، العادِل والديّان في آنٍ معًا، وهو العارِف مكنوناتِ القُلوب، يَرحَم مَنْ يَرحَم ويُدين مَن يُدين، لكِنْ بِعَدلٍ إلهيّ لا بَشريّ، فلا يحُقّ لنا الحكمُ على أحَد، بل، لله وَحدَه الحُكم. فَالجميع مَدعوٌّ لِعَمل الصّالِحات، لطلَب السّماويات لا الأرضيّات.
- في النِّهايةِ القَرار يعود لكُلِّ إنسان، وهو بين أيدينا نحنُ دونَ سِوانا، راجينَ أن نكون من الثّابتين والصامِدينَ حتّى النِّهاية، لأنّ كثيرينَ يُدْعَونَ وقليلينَ يُنتَخَبونَ (متّى 14:22).

المراجع

- "الكتاب المقدّس: قِراءة رِعائيّة"، جمعيّة الكتاب المقدّس، الإصدار الأوَّل، الطبعة الثانية 2012.
- نجم، الأب الدُكتور ميشال، نقلهُ من اللغات الأصليّة، بالإشتراك مع فريق مِنَ الناقِلين وَالمُحَرِّرين: التفسيرُ المسيحيّ القَديم للكِتاب المُقدَّس، العَهدُ الجَديد 1- ب الإنجيل كما دوَّنَهُ متّى 14-28، منشورات جامعة البَلمند.
- بندلي، كوستي: دِراسات كتابيّة 1 – أمثال الملكوت، منشورات النّور 1983.